

## فكاهات

## رقائبة

عواقب الغرور<sup>(١)</sup>

ذُكر ان رجلاً من اعيان الفرنسيين يقال له اندريا كان ذا مال وافر قد ورثه عن ذويه فحضر له يوماً ان يتعاطى اعمال التجارة وكان من ذوي الخبرة بها والممارسين لها منذ صبوته فشمّر عن ساعد الجد وافرغ ما عنده من الخدق والاجتهاد غير ان الدهر ابى الا ان يعاكسه وتمنّع الحظ عن مساعدته فلم تكن تجارته في نجاح بل تأخرت احواله وتوالت عليه الحسائر من جهات عديدة حتى اصبح على شفا الخراب . فبينما كان ذات يوم جالساً كعادته على باب مخزنه وهو يفكر فيما آلت اليه حاله ويتبصر في طريقة تدرأ عنه ما يتوقعه من سوء المصير اذا بقى يناهز الثامنة عشرة من عمره قد جاء تَوْافُوق امامه وابتدره بالسلام فاجابه وانتظر ان يذكر له غرضه فقال الفتى اني انسانٌ شقيُّ يا سيدي قد حرمت اهلي والدي منذ حداثتي وقضيت كل حياتي في البؤس الى الآن فهل لك ان تمنّ عليّ بخدمة عندك فترحم نفساً شقية وتنقذ روحاً ربما اشتد عليها الكرب وسوّلت لي الاتجار . فتوقف اندريا هنيهةً يتأمل في الفتى وكلامه ويفكر في حالته وما انتهى اليه

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فراى انه ليس الوحيد الذي اخنى عليه الدهر ومع ما هو فيه من ضيق ذات اليد وعدم مقدرته على مساعدة الفتى وجد من نفسه ميلاً الى الأخذ بيده واغائته فقال له ما اسمك ايها الفتى وما الذي تحسنه من المعارف . فقال اسمي اوغست واما معارفي فاني مع اخنآء الدهر عليّ وحرمانه لي اعتنآء الوالدين والاهل واسباب المعيشة لم اعدم شفقة رجلٍ من الافاضل ضمني الى نفسه وعني بهذيبي وقد تلقيت دروسي في مدرسة السربون وحصلت على شهادات عديدة اطلعت عليها اذا شئت . قال اندريا وكيف تركك هذا المحسن الذي ذكرته . قال انه لم يتركني ولكن الدهر لم يشأ ان يتمني بكامل السعادة بعد ما اذاقني من مرارة الشقاء فاني ما اتممت دروسي حتى توفي ذلك المحسن فجآءةً والا لما تأخر عن جملي في مركز امين او قسم لي جزءاً يسيراً من ثروته . قال اندريا لا بأس يا اوغست فادخل الى محلي هذا فسأقبلك فيه تحت التجربة مدة شهر فاذا وجدت منك ما يرضيني ووجدت عندي ما يسرك بقيت فيه والا انصرفت من حيث اتيت . فقبل اوغست شاكراً ودخل مع اندريا الى المحل فافهمه قواعد اشغاله وفوض اليه العمل . وما ادرك كيفية الشغل حتى اخذ يدأب ويجد وهو يشتغل في ليله اكثر من نهاره وكتب الله له حظاً ووهبه حكمةً ودرايةً فتوفى في اعماله وسرت العملاء من معاملته فأخذت تتوارد عليه اسباب النجاح وما انتهى شهر التجربة حتى رأى اندريا تحسناً عظيماً في اشغاله وشعر بالارباح الناجمة فتعلق قلبه بأوغست ولم يعد يهمله سوى المحافظة عليه عنده فعيّنه مديراً لاشغاله بمرتب وافٍ وقسم من ارباح المحل . ولم تزل تجارته في تقدم ونجاح واتسع

نطاق حتى بلغ في السنة الاولى غاية عظيمة وعدّ اندريا بين أهم تجار فرنسا  
 اما اوغست فلم يكن يميل الى شيء في العالم ولا يشغله سوى الانتباه  
 الى عمله فكان ينفق على نفسه الاجرة التي يقبضها ويبقي قسمه من  
 الارباح عند صاحب المحل امانة له . ولم يدر اندريا كيف يكافئ اوغست  
 فاخذ يعامله معاملته لولده وكان في كل اسبوع يدعو مرتين او اكثر  
 لتناول الطعام معه في بيته . وكان لاندريا ابنة في مقتبل الشباب يقال لها  
 متيلدا جميلة الصورة تامة التهذيب كانت ترى اوغست على مائدة بيتهم  
 وتسمع ثناء والدها عليه فتعلقت به تعلقاً شديداً واحبها اوغست اولاً محبة  
 ابنة رئيسه ثم محبة اخت له ثم انتفض فيه عرق الحب الحقيقي فاحبها محبة  
 فتى لفتاة ستكون شريكه حياته . ولما قوي فيه هذا الميل جعل يكثر من  
 التردد على بيت اندريا ويبالغ في اظهار ميله واحترامه للفتاة لكنها لم يفتح  
 احدهما الاخر بشيء من كلام الحب . وكان اوغست يثق انه مها طراً على  
 متيلدا من الاحوال فهي لا تقبل سواه بعللاً لها كما وطده هو العزم ايضاً ان  
 لا يتخذ غيرها عروساً له .

وفي ذات يوم استدعى اندريا اوغست فقال له قد اتاني اليوم رجل  
 ويده هذه الحوالة عليك بمبلغ الف ليرة فما تقول فيها . فاخذ اوغست  
 الحوالة باستغراب وتأملها ملياً ثم قال وهل عندي من المال ما يضاهاى هذا  
 المبلغ . قال اندريا ان قسمك من الارباح مفروز على حدة وارباحه تضم  
 اليه وهو يقابل اضعاف هذا . قال اذاً انا اقبل الحوالة وارجو ان لا تؤخر  
 ادائها . فتعجب اندريا من ذلك لانه لم يكن يعلم ان لأوغست مداخلة مالية

مع احد واحب ان يستفهمه عن الامر لكنه سكت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . وفي اليوم الثاني عاد اليه الرجل فنقده المبلغ متمجباً وقيده على حساب اوغست . ثم لم يمض على ذلك اكثر من شهر واحد حتى جاء الرجل ثانيةً بحوالة اخرى بنفس القيمة ولما سئل اوغست عن ذلك قطب حاجبيه قليلاً بدون ان يبدي اقل اعتراض ووقع على الحوالة ان تدفع فزاد عجب اندريا من ذلك وقال له انني كنت اجهل تماماً ان لك معاملة مالية مع احد في العالم فهل لك ان تفيدني شيئاً عن هذا . قال اوغست اني ايام كنت في المدرسة كان لي صديق من رصفائي التلامذة لم يكن اخ يجب اخاه كما كان احدنا يجب الآخر واسمهُ ادمون دي برزك وهو من اسرة غنية لا يجهلها احد في فرنسا ومهما ذكرت لك عن صفات ادمون فلا اظنني وافياً بما فطر عليه من الكرم وعزة النفس وحسن السيرة والكمالات الانسانية ولكنه كان مسرفاً جداً في سخائه فكلما ارسل اليه والده بمبلغ من المال اسرع في انفاقه وعاد يطلب سواه حتى سئم والده منه فخرمه من ارثه وججده وبعد ما خرجنا من المدرسة لم اعد اسمع شيئاً عن ادمون حتى بلغني بعد بضع سنوات انه سافر الى الهند الغربية واثبت لي هذا الخبر الحوالتان اللتان وردتا عليّ منه من هناك . وليس بيني وبين ادمون معاملات مالية وانما سلمت بدفع القيمة التي احال بها عليّ لاني قدّرت انه اما ان يكون في ضيق شديد وعلى الصديق اغائة صديقه واما انه آخذ في تجارة رابحة ولزمته هذه المبالغ غير اني على كل الاحوال اتعجب من احالته عليّ بمثل هذا المقدار مع علمه حين سفره اني لا املك شروى تقير فما ادري من

الذي اخبره بحالتي الحاضرة . فتعجب اندريا من حسن نية اوغست وصمت  
ومضى على ما ذكرناه عدة اشهر الى ان كان اندريا جالسا الى جانب  
مكتب اوغست يراقب شغلته ويعجب ببراعته فدخل عليها فتى جميل  
الطلعة رشيق القوام حسن البزّة فحيا ثم تفرّس في اوغست وهجم عليه  
يقبله بشوق عظيم وكان هذا الفتى هو ادمون وقد عاد من سفره . وبعد ان  
جلس هنيهة قام اندريا لشأنه وترك الصديقين يتحادثان واخذ ادمون يقص  
على اوغست ما كان من حديثه فقال اني سافرت الى الهند مدفوعا الى  
ذلك بما لاقيته من الضيق في بلادي وقد بذلت كل ما بوسعي لأجد لي  
شغلا ارتزق منه ورأيت هناك سوق المقامرة رائجة وانت تعلم كراحتي لها  
ولكن الفقر والذل دفعاني الى تلك الهوة فسقطت فيها وكنت تارة اربح المال  
الوافر وتارة اخسر آخر درهم واخيرا ترتب علي دين عظيم وكان قد بلغني  
ما صارت اليه احوالك فأحلت عليك بالالف الاولى ورأى الناس هناك  
استقامتي فوثقوا بي مرة ثانية فعدت وخسرت الفأ اخرى وقيمتها من مالك  
ايضا . ثم عمدت الى اللعب عليّ احصل ما يفي ديني لك ان لم احصل  
زيادة عن ذلك ما بسد مطامعي غير انني لسوء الحظ خسرت ايضا وهذه  
المرّة كانت خسارتي جسيمة وانا اخجل ان اطلب تعويضها منك . فهبت  
اوغست مفكرا في ما آلت اليه حالة ادمون ورأى ادمون تردده فقال له  
اني قد عاهدت الله على ان لا اتعاطى المقامرة ما حبيت فان شئت ان تنزع  
عني العار باقراضي هذا المبلغ اعاهدك مقسما بالله وبما بيننا من الحب انني  
انظر لي بابا من ابواب المكاسب الشرعية لافيكه وان لم تمدد يدك

لمساعدتي فانا هالك لا محالة . فقال اوغست وكم المبلغ الذي تحتاج اليه الآن قال اربعة آلاف جناي فيصير مجموع ما لك علي ستة آلاف جناي اكتب لك بها صكاً شرعياً وافيكها كلما حصلت شيئاً . فدُعِر اوغست ولكنه اظهر الرزانة والسكينة ثم قام الى دفاتره ليرى المبلغ الذي يخصه فوجد انه يزيد قليلاً جداً عن المبلغ المطلوب . فتوقف حيناً ثم اخذ حواله بالقيمة فوقه عليها ودفعها الى ادمون فاخذها ادمون بعبرات الشكر وانصرف

وبعد ذلك اخذ اوغست ادمون الى بيت اندريا فعرّفهم به وكان ادمون كما ذكرنا طلق اللسان ثبت الجنان عليه ملامح الشرف والعظمة فخلب الجميع بكلامه حتى دهشت الام بجماله واخذت الابنة برقيق عباراته وحسن هندامه وتولع به الاب حتى لم يعد يلوم اوغست على تهوره في تسليمه كل تلك المبالغ بل صمم انه ان احب ادمون ان يقترن بابنته متيلدا يتخذ على نفسه ان يفي عنه المال الذي عليه لاوغست فضلاً عن البائنة (الدوطة) التي يهبها لابنته

ولحظ اوغست انشغاف أسرة اندريا بادمون وخاف عواقب الامر فعزم ان يفآخ متيلدا بالزواج ويسرع فيه ما امكنه ولكنه عاد فتذكر انه قد اعطى جميع ماله لادمون ولم يبق عنده سوى النزر اليسير فان بتلف عظيم وزم السكوت . اما ادمون فما زال حبه يتزايد عند القوم وخصوصاً اندريا الذي اصبح يعزه أكثر من ولده وخاطبه ادمون في امر ابنته فصرح له بما يضره وانه في اي ساعة شاء الاقتران بها يمدّه بمال وافر ليني ما عليه ويعيش في سعة وسرور . فقال ادمون اني كنت اود الاقتران بها

من هذا اليوم لولا بعض اشغال مهمة احب قضاءها قبل الزواج فلا بأس من ارجاء الامر قليلاً . وكان ادمون يأتي كل يوم الى بيت اندريا ويجالس متيلدا ويخرجان معاً ويوزوران اماكن التزهة واللهو وهي مع مزيد تعلقها باوغست لم تسمع منه شيئاً من حديث الحب فلبثت حيرى بين الاثنين . وفي ذات يوم جاءها اوغست يدعوها ان تصحبه لحضور حفلة غناء عظيمة فقالت اشكرك ايها العزيز لكن قد دعاني اليها ادمون قبلك ووعدته بالذهاب معه فسنلتقي بك هناك فعض اوغست شفته حتى ادماها وخرج . ولما كان الموعد انطلق اوغست الى الملعب واذا غربة تقبل اندريا وزوجته وابنته وادمون فدخلوا الى غرفة مخصوصة وجلس اوغست في زاوية تقابلها يراقب حركاتهم . وكانت تلك الليلة من ابهج الليالي واجملها قامت في نهايتها فتاة رشيقة القوام حسنة الصورة عليها هيئة الحزن فاندفعت تنفي بلحن شجي رقت له قلوب الحاضرين ولما فرغت استعادوها ثانية وثالثة حتى لم يبق في الملعب الا من بكى لشجو غنائها واخذ الناس يتساءلون عنها فعلموا ان اسمها مرغريت وانها مربية لاولاد الكنتة ديدي

وفيما كان اوغست خارجاً من الملعب صادف احد اصدقائه فترافقا في الطريق وجرى بينهما حديث مرغريت فسأله اوغست عنها وهل يعرف شيئاً من امرها فقال نعم هي امرأة تزوجت من بضع سنوات وكان زوجها سيئ البخت ولا مال لديه فتركها وسافر الى الهند فاضطرت الى الدخول في خدمة الكنتة حيث لا تزال الى الآن وهي منذ سافر زوجها الى اليوم لم تكده تحصل منه على خبر ولم تعلم شيئاً من احواله وما ينويه من الرجوع اليها

فندمته من الحزن والقلق وهذا هو السبب فيما سمعت من شجو غنائها . ولبت الصحابان متسايرين وهما يتقلان في الاحاديث حتى وصل اوغست الى امام محله فدخل ومضى الصديق في طريقه .

اما اندريا فعاد الى بيته وهو مُعجَبُ بِنَاءِ مرغريت وصوتها الرخيم ورأى تأثيرها في زوجته وابنته لا يقل عن تأثيرها فيه فجعل يتكلم عنها وعن حركاتها واشاراتها وصمم اخيراً ان يدعوها الى بيته يوماً للعشاء على امل ان يسمع صوتها ثانية . فقالت زوجته نم واني سأطلبها من الكنته ديدي وانا على يقين بما بيني وبينها من الصداقة انها لا تتأخر عن اجابتي . قال اذا سندعوها لتناول العشاء معنا مساء الاحد القادم فقالت زوجته بل ندعوها مساء السبت وقالت الابنة يوم كذا فقال ادمون اذا متى اتفقتم على يوم فاعلموني قبل الوقت مخافة ان يكون عندي اشغال تمنعني من الحضور فقال الاب اذا نفوض الامر اليك فتى رأيت نفسك مستعداً فاعلمنا قبل بيوم لندعوها وهكذا اتفق الجميع

ولما كان بعد ايام واتي ادمون وقال لهم اني ساكون مستعداً للحضور مساء غد فاذا شئتم ان تدعوا الفتاة فافعلوا فذهبت الام وزارت الكنته وتواعدت مع مرغريت ان تأتيهم في مساء اليوم التالي . وفي مساء ذلك اليوم جلس ادمون كمادته بقرب متيلدا ولكنه لم يكن يحادثها كمادته واعذر بانة مصاب بصرع شديد ويجب ان يذهب باكراً لينام استعداداً لليلة القادمة ولما بلغت الساعة العاشرة استأذن وخرج

وكان اوغست لما رأى قلة احتفال آل اندريا به اخذ يقلل من زيارته

لهم وكان يقضي أكثر لياليه في نادٍ بالقرب من بيت اندريا ويرى ادمون راجعاً من سهرته فيغصُّ بريقه . ورأى ادمون في تلك الليلة المذكورة عائداً قبل الميعاد فتعجب من خروجه الباكر ودعته نفسه لاستطلاع امره فخرج يقتفي اثره بدون ان يشعر به حتى انتهى في اتباعه الى ساحة صغيرة فيها بركة جميلة يتفرّع حولها اربعة طرق فلما وصل ادمون الى هناك وقف يراقب تلك الطرق كأنه ينتظر قدوم احد ثم توجه الى البركة فجلس الى حاقها . ولما رأى اوغست ذلك ظنه ينتظر صديقاً له لموعده بينهما فقفل راجعاً ولم يسر بضع خطوات حتى رأى الشرطي الموكل بحراسة تلك البقعة وكان من معارف اوغست فوقفاً يتكلمان نحو نصف ساعة ثم افترقا وذهب كل الى محله

ولما كان صباح الفد خرج اوغست لينطلق الى شغله وبينما هو في الطريق سمع باعة الجرائد وهم يجرون في ساحات المدينة ينادون بجاذة قل فظيع . فلما سمع اوغست ذلك ابتاع جريدةً واخذ يتصفحها فاذا فيها ما يأتي . « في هذا الصباح وجدت جثة مرغريت مربية اولاد الكتنة ديدي ملقاةً بجانب البركة في شارع . . . وقد طُعن طعنةً في صدرها نفذت الى ظهرها وطعنةً اخرى في عنقها اخترقته من الوريد الى الوريد والحكومة مهتمة بالقبض على الجاني » . فشرع اوغست بارتعاش استولى على كل جسمه واخذ الجريدة وسار الى بيت اندريا فوجدهم وادمون مشتغلين بتزيين البيت استعداداً لمأدبة المساء . فقال هل بلغكم ان مرغريت لا تأتي في هذه الليلة . قالوا لا وكيف ذلك . قال انها قد قضت عليها في هذا الليل قتلاً ودفع اليهم

الجريدة فلما اطلعوا عليها ادهشهم ذلك الخبر الفجائي واخذ منهم الاسف اشد مأخذ على شباب الفتاة وتلففوا لموتها العاجل وقال اندريا انه يهب الف جنائي لمن يصل الى معرفة القاتل . واهتمت الشرطة بالبحث في كل ناحية فلم يقفوا للقاتل على اثر وقرر الشرطي الحارس انه وقف هنيئاً يتكلم مع اوغست ثم ذهب الى البركة فطاف من حولها فلم يكن ثمت شيء ولكنه لما عاد ثانية وجد الجثة ملقاة على الارض ولم يسمع اقل حركة في كل تلك الجهة ودام بحث الحكومة وطبع الجرائد نحو شهرين بدون جدوى ثم اخذ القوم يتناسون تلك الحادثة الا اوغست فانه كان قد تغلب عليه حب الاخذ بثأر تلك المسكينة فكان يسعى جهده للوقوف على جلية الخبر

وبعد مضي اسبوع آخر من ذلك التاريخ صرح ادمون لاندريا بعزمه على الاقتران بمتيلا فاستعد القوم لذلك وعين يوم العرس فنقده اندريا عشرة آلاف جنائي وفي منها اوغست ما له عليه واحفظ بالباقي . وفي ذلك النهار ورد على متيلا كتاب بطريق البريد ففتحته بيد مرتجة واذا فيه ايها الملك الطاهر

لقد خدعتِ وغرَكِ جمال ادمون واسرافه وتزوَّقتِ وانما هو كما يقال عن القبور المكاسة فايالك والوقوع في شركه واني صديق اخلصك النصح واشير عليك ان تتمعي من الاقتران به وان ابيت فلا اقل من ان تؤخري العقد ولو ثلاثة ايام لتري من الذي تسلمين اليه ملك العقدة وسلامة الضمير وتسبري غور الهوة التي ستسقطين فيها . استحلفك بالله ان تؤخري عرسك ثلاثة ايام فقط ان لم تشائي فسخره البتة والا فستندمين على شقائك حين لا ينفع

الندم وتبكين حظك ما حبيت كما ابكي انا حظاً فتاة لا يهمني في العالم الا ان  
اراهها في سعادة وسلام

نصيح

فجملت متيلدا تراجع تلاوة الكتاب مفكرة في الامر ولكنها اخيراً  
غلب عليها الافتتان بجمال ادمون فحملت كلام ذلك النصيح على الحسد  
واخفت الكتاب بين بعض اوراقها السرية ولم يطلع احدٌ على ما كان وفي  
ذلك المساء زُفَّت متيلدا الى ادمون في احنفالٍ شائق وفرح عظيم

وكان ادمون يود ان يرحل بعروسه الى بلادٍ اخرى فلم يوافقهُ والداهما  
لانه صعب عليهما فرقتها في الحال وفي اليوم الثالث من زواجهما لم يعد  
يقوى ادمون على الصبر فصمم على الرحيل ونهض صباحاً فأعدَّ حوائجهُ وما  
انتصف النهار حتى جاءت العربية الى باب البيت لتقلعهما الى محطة القطار  
فاستندت متيلدا على ذراع زوجها بعد ان ودَّعت والديها ونزلت. ولما استويا  
في العربية وامرا السائق بالمسير اذا بفارس من الشرطة قد تقدم الى ادمون  
وقال له هل حضرتك ادمون . . . قال نعم. قال باسم الحكومة الفرنسية  
استوقفك فاتبعني. فلما سمعت متيلدا ذلك تذكرت للحال الكتاب الذي  
اتاهها وسفرت لها الحقيقة من وراء حجب الحفاء ولم يبقَ عندها ريب ان  
الكتاب كان آتياً من اوغست فندمت على اهماله وانهماكها بأدمون  
وتراكت هذه الخواطر عليها دفعةً واحدة فسقطت مغشياً عليها فاسرع والداهما  
وحملاها الى المنزل ولبث ادمون سائراً امام الشرطي حتى انتهى الى دار  
الحكومة وهناك التي في السجن الى يوم المحاكمة

ولما كان اليوم المضروب لاصدار الحكم احتشدت الجماهير المؤلفة

وعقد المجلس فقام الخطيب واخذ يشرح قصة ادمون فجزم بانه هو قاتل مرغريت على ما شهدت به الدلائل وقامت عليه الينيات ثم ذكر من قصته انه بعد خروجه من المدرسة وهو لا يملك شروى تغير اقترن بالفتاة مرغريت وكان لديها مبلغ من المال فبذره كمادته ثم لما اشتد به الضيق سافر الى الهند ودخلت هي في خدمة الكنته ديدي . فلما عاد في المدة الاخيرة سولت له نفسه الاقتران بابنة المسيو اندريا طمعاً في غنى والدها ولكن لما كان وجود زوجته الاولى يحول دون ذلك اخذ يفكر في طريقة يتخلص بها منها وفي آخر الامر اوصل اليها كتاباً سرّياً يخبرها فيه انه قد عاد من سفره وانه يودّ مواجهتها في تلك الليلة سرّاً السبب يعلمها به متى التقيا . ولم تكن المسكينة تستعد لمثل تلك البشارة المفرحة فما صدقت ان انتصف الليل حتى ذهبت الى محل الملتقى ولما رأت زوجها هجمت عليه نقيبته فقابلها بطعنة من خنجره فسقطت ميتةً وعاد فارغ البال لاتمام مقاصده الشريرة . وعليه فقد حكمت باسم الحكومة الفرنسية ان يُحفظ ادمون في سجن الاشغال الشاقة الى ان نحصل على الاذن السامي في شقه .

وكان الحزن قد اثر شديداً في متيلدا حتى كانت تأخذها نوبٌ عصبية خشى الطيب عليها منها وكانت لا تجد سلوةً وعزاةً الا باوغست فلم يكن يفارق سريرها الى ان شفيت فبقي لها صديقاً صدوقاً ولايها ابناً اميناً وقضى حياته عزباً يفضل الظلم الشديد على ورود الشراب المتبدل كما قيل  
وتجنب الاسود وورود ماءً اذا كان الكلاب ولنن فيه